



## المستوى التداولي

التداولية هي ترجمة للمصطلح الانكليزي (pragmatics)، بمعنى المذهب اللغوي التواصلي الجديد

عرفت التداولية بتعريفات عدة، منها:

. ((إنها دراسة علاقة العلامات بمستعملها، أي دراسة اللغة أثناء ممارستها إحدى وظائفها الإنجازية والحوارية والتواصلية)).

. ((هي دراسة ارتباط العلامات بمؤولها أي بمستعملها)).

. عرفها "ف.ريكانات بأنها (( دراسة تهتم باللغة في الخطاب)).

. وعرفها الدكتور مسعود صحراوي "التداولية عند العلماء العرب" بأنها (( مبحث لساني يدرس الكيفية التي يصدر ويعي بها الناس فعلا تواصليا ، أو فعلا كلاميا غالبا ما يأتي في شكل محادثة)).

فالتداولية - على ما يبدو - علم يهتم بعلاقة اللغة بمستعملها ، هدفه إرساء مبادئ للحوار ، في علاقته الوثيقة مع المقام الذي ينتج فيه الكلام . ومن هذه التحديدات يعني لنا أن التداولية تخصص لساني يحدد موضوعه في المجال الاستعمالي ، أو الإنجازي لما نتكلم به ؛ ويدرس كيفية استعمال المتكلمين للأدلة اللغوية أثناء حواراتهم ، وفي صب أحاديثهم ، وفي خضم خطاباتهم . كما يعتني هذا التخصص بكيفية تأويل مستعملي اللغة لتلك الخطابات وتلك الأحاديث ، كما ويهتم أيضا بمنشئ الكلام (الخطيب ، المتكلم) ، وكذا السياق.

إن التداولية إذا تخصص لساني يدرس كيفية استخدام الناس للأدلة اللغوية في صلب أحاديثهم وخطاباتهم ، كما يعني هذا التخصص من جانب آخر بكيفية تأويلهم لتلك الخطابات والأحاديث . ومن هنا جاز لنا القول إن اللسانيات التداولية إنما هي لسانيات

"الحوار" أو "الملكة التبليغية compétence de communication"، والتي تقابل الملكة اللغوية الصرفة عند "تشومسكي"

وبالاستناد إلى هذه التعريفات تبدو التداولية العلم الذي يدرس الأفكار والمعاني والألفاظ والمفاهيم والإشارات، وكل ما له علاقة بالاستعمال اللغوي، وبعبارة جامعة نقول: إن التداولية هي أداة للتفسير والنقد معا، تبدو قيمتها في اعتبارها وسيلة معرفية نلجأ إليها لتعييننا على فهم ومعرفة وتمييز هل أن ما نبحت فيه له قيمة ومعنى أم ليس له ذلك؟ كما أننا نتمكن بواسطتها من قياس درجة الصحة والخطأ في المواضيع التي ندرسها. ثم هل هي جديرة بان تأخذ منا الجهد والوقت في البحث عن خصائصها أم لا...؟

## أبرز المفاهيم التداولية

هناك مفاهيم عدة يتناولها الدارسون، المعاصرون، وهي: متضمنات القول، الاستلزام الحوارية (المحادثة)، والفعل الكلامي، ونظرية الملاءمة، والقصدية.

### ١. متضمنات القول

مفهوم تداولي إجرائي يتعلق برصد جملة من الظواهر المتعلقة بجوانب ضمنية وخفية من قوانين الخطاب، ومن أهم أصنافه:

أ. الافتراض المسبق: في كل تواصل لساني ينطلق الشركاء من معطيات وافتراضات معترف بها ومتفق عليها بينهم، والمثال على ذلك:

١. (اغلق النافذة) ( لا تغلق النافذة)، ففي كلا التركيبين (افتراض مسبق) وهو أن النافذة مفتوحة.

٢. في مقام تواصل معين يقول الشريك لشريكه الثاني في الحوار، (كيف حال زوجتك وأولادك) وهذا السؤال يعطينا (افتراضاً مسبقاً) هو أن أحد الشريكين متزوج ولديه أطفال، وأنّ هناك علاقة ما بين الشريكين تربطهما هي التي تسمح بمثل هذا السؤال، لذا فإن الشريك المسؤول سيجيب :

(إنها بخير ، والأولاد في عطلة، شكرًا) .

وإذا كانت الخلفية التواصلية غير مشتركة بين الشريكين (لا يوجد افتراض مسبق)، فإن الشريك (المسؤول) سيتجاهل السؤال، أو يجيب بأحد الملفوظات الآتية:

. لا أعرفك

. لست متزوجًا

. لقد طلقت زوجتي

وقد أقرّ التداوليون بضرورة وجود الافتراض المسبق، لأنه الأساس الذي ينطلق منه والبناء عليه.

ب . الأقوال المضمرة: ترتبط بوضعية الخطاب ومقامه، وهو عكس الافتراض المسبق، والمثال على ذلك:

(إنَّ السماء ممطرة)

السامع لهذا التركيب ربما اعتقد أن القائل أراد أن يقول:

- المكوث في البيت.
- أو الإسراع في عمله حتى لا يفوته الموعد.
- أو الانتظار والتريث حتى يتوقف المطر.
- أو عدم نسيان مظلته عند الخروج.

ويبدو أن التأويلات مفتوحة مع تعدد السياقات والطبقات المقامية التي ينجز ضمنها الخطاب، والفرق بينه وبين (الافتراض المسبق)، أنّ المسبق وليد السياق الكلامي، وأنّ (الأقوال المضمرة) وليدة ملابسات الخطاب.

٢ . الاستلزام الحوارى (المحادثة)

لاحظ اللغوي الغربي غرايس أنّ جمل اللغات الطبيعية، في بعض المقامات، تدل على معنى غير محتواها الذي تقتضيه، والمثال على ذلك:

حوار بين أستاذين (أ) و(ب):

الأستاذ (أ) (هل الطالب فلان مستعد لمتابعة دراسته الجامعية في قسم الفلسفة؟)

الأستاذ(ب)(إنَّ الطالب فلان لاعب كرة ممتاز).

هناك حمولة دلالية في كلام الأستاذ(ب) تدل على معنيين اثنين في الوقت نفسه، أحدهما حرفي والآخر مُستلزم، فالحرفي (أنَّ الطالب فلان لاعب كرة ممتاز)، والاستلزامي، (أنَّ الطالب فلان ليس مستعدًا لمتابعة دراسته في قسم الفلسفة)، هذه الظاهرة سماها غرايس بـ(الاستلزام الحواري).

٣ . **الفعل الكلامي**: ويراد به كل ملفوظ ينهض على نظام شكلي دلالي انجازي تأثيري، وقُسم الفعل الكلامي الكامل على ثلاثة أفعال فرعية، هي:

**B** فعل القول أو (الفعل اللغوي)، ويراد به ((اطلاق الألفاظ في جمل مفيدة ذات بناء نحوي سليم، وذات دلالة))، وفعل القول يشتمل بالضرورة على أفعال لغوية فرعية،(صوت، تركيب ، دلالة).

والمراد بالفعل الصوتي: هو التلفظ بسلسلة من الألفاظ المنتمية إلى لغة معينة.

والفعل التركيبي:يقوم بتأليف مفردات طبقًا لقواعد لغة معينة.

والفعل الدلالي: توظيف هذه الأفعال حسب معان وإحالات محددة.

نقول مثلًا: (إنَّها ستمطر)

يمكن أن يُفهم معنى الجملة ، ومع ذلك لا ندري أهي اخبار بـ ((أنَّها ستمطر))، أم ((تحذير من عواقب الخروج في الرحلة)) أم ((أمر بحمل مظلة)) أم غير ذلك...إلا بالرجوع إلى قرائن السياق لتحديد قصد المتكلم أو غرضه.

**B** **الفعل المتضمن في القول**: وهو الفعل الانجازي الحقيقي (هو عمل يُنجز بقول

ما)، ومن أمثله (السؤال ، إجابة السؤال، إصدار تأكيد أو تحذير، وعد ، أمر ،

شهادة في محكمة... فالفرق بين الفعل (أ) والفعل الثاني(ب) هو أنَّ الثاني قيام

بفعل ضمن قول شيء، في مقابل الأول الذي هو مجرد قول شيء.

ج . الفعل الناتج عن القول: هذا الفعل مرتبط بما سبق، فقد يكون مع القيام بفعل القول، وما يصحبه من فعل متضمن في القول، فقد يكون الفاعل (وهو الشخص المتكلم) قائمًا بفعل ثالث، هو التسبب في نشوء آثار في المشاعر والفكر، ومن أمثلة تلك الآثار : الإقناع، التضليل ، الإرشاد، التثبيط، سمّاه أوستين بهذا الاسم، وقد يسميه بعضهم بـ (الفعل التأثيري).